



إسهامات السلاجقة في الحضارة العباسية

(447-590هـ / 1055-1194م)

Seljuks contributions to the Abbaside civilisation

(447-590AH / 1055-1194 AD)

حسن عبدالله يوسف أبو حلبية¹

¹كلية الدعوة الإسلامية، غرة، فلسطين البريد الالكتروني h_star22@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/02/07؛ تاريخ القبول: 2023/04/23؛ تاريخ النشر: 2023/06/25

ملخص

بدأت العلاقات العباسية السلجوقية عام 429هـ، عندما دخلوا العراق بناءً على طلب الخليفة العباسي لمساندة الخلافة عام 447هـ، وتميزت العلاقة بين الود تارة، والصراع تارة أخرى، وساهمت السلطنة السلجوقية في تقدم الدولة العباسية في مختلف المجالات، واختار الباحث (إسهامات السلاجقة في الحضارة العباسية 447-590هـ / 1055-1194م) عنواناً لمقاله، ويهدف هذا المقال لتسليط الضوء على طبيعة إسهامات السلاجقة في الحضارة العباسية، واتبع الباحث المنهج التاريخي الوصفي؛ المتبع في الدراسات التاريخية، وخلص الباحث في ختام البحث إلى جملة من النتائج من أهمها أن العلاقات توثقت بين العباسيين والسلاجقة بعد قيام دولة السلاجقة سنة 429هـ، وعمل السلاجقة على مساندة الخلافة العباسية، بإنقاذهم من بني بويه الشيعة، والحيلولة دون سيطرة الفرق الباطنية من فاطميين وغيرهم على الخلافة، وتضافرت جهودهم في إدارة ونهضة الدولة العباسية سواء على الصعيد الديني، والسياسي، والإداري، والثقافي، وأهم ما خلفوه (المدارس النظامية) التي خرجت العديد من العلماء وساهمت في النهضة، كما خلفوا العديد من المعالم الحضارية والمعمارية التي نهضت بالدولة والتي مازالت آثارهم شاهدة عليهم حتى يومنا.

كلمات دالة : الحضارية , العباسيين , السلاجقة , طغرل بك, نظام الملك

Aabstract:

The Abbasid-Seljuk relations began in 429 AH, when they entered Iraq at the request of the Abbasid caliph to support the caliphate in 447 AH. 590 AH / 1055-1194 AD) is the title of his article. This article aims to shed light on the nature of the Seljuk contributions to the Abbasid civilization. The researcher followed the descriptive historical approach. followed in historical studies, and the researcher concluded at the conclusion of the research a number of results, the most important of which is that the relations between the Abbasids and the Seljuks became closer after the establishment of the Seljuk state in the year 429 AH, and the Seljuks worked to support the Abbasid caliphate, by saving them from the Shiite Buyihs, and preventing the control of the esoteric sects of the Fatimids and others On the caliphate, and their efforts combined in the management and renaissance of the Abbasid state, whether on the religious, political, administrative, and cultural levels. Witness them to this day.

Key words: Civilization, Abbasids, Seljuks, Tughrul Bey, Nizam al-Mulk

المقدمة:

تعد الحضارة من أهم العوامل التي يُقاس بها مقدار نهضة وقوة الدول، فمن لا حضارة له فلا سلطان له بين القوى العالمية الكبرى، ولذلك فإن المجتمعات تحرص كل الحرص على تنمية الجوانب الحضارية لديها سواء على الصعيد (السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي، والديني، والإداري).

وقد تعاقبت الحضارات على مر العصور منذ نشأة الإنسان الذي كان يسعى إلى إيجاد موطن قدم له في البيئة التي يعيش فيها حتى يومنا هذا، وتعتبر العصور الإسلامية بمثابة الوجه المشرق للحضارة في العالم، فحينما كانت أوروبا تعيش في ظلمات الجهل كان المسلمون على النقيض من ذلك فكانوا كقناديل يضيئون العالم بالعلم والمعرفة.

ويعتبر العصر العباسي من أهم تلك العصور ازدهاراً وتطوراً، والذي يمثل العصر الذهبي للحضارة الإسلامية، ويعود الفضل في ذلك إلى اهتمام خلفاء بني العباس بالعلم والعلماء، فقد ثبت أبو جعفر المنصور أركان دولته ثم شرع في بناء مدينة بغداد لتكون مقراً للخلافة العباسية، وتكون حاضنة للحضارة الإسلامية، وكان من نتائج ذلك أن برز فيها العديد من العلماء والفقهاء والادباء وفيها نشطت العلوم والفنون ومجالس العلم.

ولم تستمر الأمور على تلك الوتيرة فما لبث أن تسلل الضعف والفوضى في الخلافة العباسية، وتزامن مع سيطرة آل بويه على الخلافة العباسية ونشرهم للفكر الشيعي في بغداد عاصمة الخلافة؛ مما أثر عليها وأدى إلى تشتتها وتفرقها، وظهر السلاجقة في الساحة، وربطتهم علاقة وثيقة بالخلافة العباسية عندما استنجد بهم الخليفة العباسي (القائم بأمر الله) ليساندوا الخلافة في القضاء على آل بويه، ومما زاد العلاقات بينهم قيام الخليفة بالاعتراف بهم، والسماح لهم بدخول بغداد، ثم لاحقاً توطيد العلاقات بينهم بالتصاهر فيما بينهم.

وفي ضوء ذلك فقد كان لدولة السلاجقة دوراً هاماً في نهضة الدولة العباسية، فساهموا في انشاء المدارس الذي لعبت دوراً هاماً في نشر السنة ومحاربة التشيع، كما وساهموا في إدارة الدولة والنهوض بها دينياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً وعمرانياً.

وتكمن أهمية المقال في العديد من الجوانب منها: ضرورة الإلمام والمعرفة بمواطن القوة التي كانت تتحلى بها الدولة الإسلامية زمن نفوذ السلاجقة في الدولة العباسية، والتي تتمثل في حضارتها ومنجزاتها الثقافية، والاستفادة من الحضارة الإسلامية العباسية السلجوقية والسعي الحثيث من أجل إحيائها وتجديدها، وبيان الدور العظيم الذي قدمه السلاجقة لنصرة الدين الإسلامي وتمكينه في النفوس وإنقاذ الخلافة العباسية من خطر التشيع، وإبراز أهم الموروثات الحضارية التي يجب أن يفخر بها الخلف عن أسلافهم، واتبع الباحث المنهج التاريخي الوصفي في كتابة هذا مقاله.

واطلع الباحث على الدراسات السابقة من أجل إيجاد دراسة تتكلم عن موضوع مقاله، إلا أنه وبحسب علمه لم يجد دراسة تتكلم بشكل مباشر ومتكامل عن موضوع المقال، وجل ما وجدته دراسات متفرقة تتحدث عن بعض جوانب مقاله والتي استفاد منها، ومن أهمها:

1- أبو عزة، عبد الله، (1969م): الحضارة العربية في المشرق في عهد السلاجقة (447هـ-567هـ/ 1055م-1171م)، (أطروحة لنيل درجة استاذ)، الجامعة الامريكية، بيروت.

هدفت الدراسة إلى محاولة استجلاء أوضاع الحضارة العربية في العهد السلجوقي ما بين عام (447هـ-567هـ)، والتي ساستفيد منها عند حديثي عن منجزات الحضارة السلجوقية (الفنية والثقافية). قد أهملت هذه الدراسة الجانب الديني للحضارة السلجوقية، وكانت تستبدل ذلك بقولها (الحياة العقلية) وحتى عندما ذكرت أهم مظاهر الحضارة لم تتطرق للدين بالأساس، مع أن سبب

احتكاك السلاجقة بالعباسيين كان بهدف ديني لإنقاذ الخلافة من فتنة التشيع، وفي مقالي لن نغفل ذلك الجانب وسأركز عليه بشكل كبير.

2- البابا، مؤمن، (2009م): البيمارستات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية(1-656هـ/622-1258م)، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الإسلامية، غزة.

تناولت هذه الدراسة البيمارستات في الدولة الإسلامية منذ صدور الإسلام حتى نهاية الخلافة العباسية (1-656هـ/622-1258م)، وسأستفيد منها في جزئية الحديث عن البيمارستات الإسلامية في عهد الدولة السلجوقية.

3- عبد العزيز، هانم، (2012م): التأثيرات السلجوقية على العمارة الإسلامية بمدينة القاهرة في العصر الايوبي والمملوكي البحري، (رسالة ماجستير) جامعة طنطا.

تناولت الدراسة الحديث عن التأثيرات السلجوقية على العمارة الإسلامية بمدينة القاهرة في العصر الأيوبي والمملوكي البحري، وتناولت جانباً مهماً من جوانب الحضارة الإسلامية في العصر السلجوقي الا وهو العمارة الإسلامية في العصر السلجوقي، وسأستفيد منها عند الحديث عن الحضارة المعمارية والمنشآت المعمارية التي قدمتها تلك الحضارة.

أولاً: أثر السلاجقة على العباسيين:

برز السلاجقة كقوى مهمة في عصر الخلافة العباسية فكان لنفوذهم فيها الكثير من المزايا والمحسن، لما لهم من دور عظيم في النهوض بالدولة العباسية في لحظات كانت تعاني من الضعف.

1) دور السلاجقة في النهوض بالدولة العباسية:

بدأت حركة الإصلاح والتجديد على يد السلاجقة، عندما زحفوا لبغداد وأنقذوا الخليفة العباسي من الأسر، والذل الفاطمي الشيعي بعد الانقلاب الذي دبرته الدولة الفاطمية على يد القائد العسكري البساسيري، وقد رأى السلاجقة أن الأفكار والعقائد لابد من غرسها عن طريق التعليم والتربية والتهذيب لا بالسيف وحده (الجل، 2022م: 62).

ولذلك برز دور السلاجقة في نهضة الدولة العباسية سواءً على الصعيد: (السياسي، والإداري، والثقافي، والاجتماعي، والاقتصادي) تقاسموا فيها السلطة مع الخلافة وساهموا في إدارة الدولة في العديد من الأمور، وقد برز دورهم العظيم عام 447هـ-1055م يوم دخل طغرل بك السلجوقي بغداد، حتى عام 590هـ-1194م (شاكر، 2000: 205).

استخلف في عهد الدولة السلجوقية تسعة خلفاء عباسيين أولهم (القائم بأمر الله)، وآخرهم (الناصر لدين الله). وقد سمي عصر السلاجقة الأوائل بالعظام؛ لأن سلطتهم كانت تمتد من بلاد الشام إلى حدود الصين، ويعتبر عصر ثالث السلاطين العظام (ملكشاه). بمثابة العصر الذهبي لسلطنة سلاجقة العراق، فقد اهتم السلطان بالإصلاح ونشر العدل والأمن، وشق عدداً من الطرق، كما خفف الضرائب، وبنى وزيره المصلح (نظام الملك) عدداً من المدارس في أنحاء مختلفة عُرفت (بالمدارس النظامية)؛ مما أدى إلى نشر العلم (المغلوث، 2012: 209) وسبقه بالإصلاح والدعة (ألب أرسلان) وخصوصاً فيما يتعلق بأمر الجهاد ومقارعة أعداء الإسلام، فقد شهدت الخلافة العباسية في فترته ما لم تشهده في قرنٍ مضى؛ ذلك أنه استطاع أن يقوم بحركة إصلاحية شاملة عاونه فيها وزيره الشهير (نظام الملك الطوسي) (أيوب، 2013: 35).

وتضافرت جهود السلاجقة في النهوض بالدولة العباسية منذ أن دخلوا العراق سنة 447هـ-1055م، ويتمثل نهوضهم بالخلافة من عدة جوانب، وهي:

أ. النهوض بالدولة العباسية سياسياً:

إن الحضارة والسياسة متلازمتان لا يغني أحدهما عن الآخر، عندما يتعلق الأمر بتأسيس دولة قوية، فإن أهم الإنجازات السياسية التي قدمها السلاجقة للخلافة تتمثل في دخولهم لبغداد وإنقاذهم للخلافة العباسية، وذلك من عدة جوانب وهي:

- تخلص الخلافة العباسية من نفوذ بني بويه الذين كانوا يسيطرون على الخلافة وكادت تفرض التشيع على العراق.
 - القضاء على فتنة البساسيري الذي سيطر على قرارات الخليفة العباسي التي استمالته الدعوة العبيدية الفاطمية لصالحها.
 - تحجيم نفوذ الدولة الفاطمية التي حاولت بسط نفوذها على الخلافة العباسية.
 - العمل على ملاحقة الباطنية وقتلهم والحد من نفوذهم وشرورهم.
- أما فيما يخص الشأن الخارجي فقد ساهم السلاجقة في العمل على إطالة أمد الخلافة إلى أطول فترة ممكنة، والحيلولة دون سقوطها في أيدي أعداء الإسلام، ويشهد لذلك مقارعتهم للدولة البيزنطية حيث سار السلطان (ألب أرسلان) لغزو ملك الروم (أرمانوس) والذي جاء لغزو بلاد المسلمين في ستمائة ألف فارس رومي فالتقى به ألب أرسلان في (ملاذكرد) سنة 465هـ-1072م وتمكن من التغلب عليه وإيقاعه في الأسر بضعة أيام (الراوندي، 2005: 189)، ثم أطلق سراحه بعد أن عقد معه اتفاقية تعهد بموجبها على احترام الهدنة خمسين عاماً، ودفع جزية سنوية للسلاجقة خلال تلك المدة، وإطلاق سراح جميع أسرى المسلمين الذين في حوزة الروم، وأن يرسل الامبراطور البيزنطي جيشة للعمل إلى جانب جيش السلطان السلجوقي عند الطلب (فوزي، 2009: 169). وكان أول امبراطور بيزنطي يأسره المسلمون (أبو النصر، 2001: 87).
- وبعد المعركة انتشر السلاجقة في آسيا الصغرى وضموا إلى ديار الإسلام مساحة تزيد على 400 ألف كم، كما أسهمت هذه المعركة في القضاء على التحالف البيزنطي الفاطمي ذلك أن السلطان (ألب أرسلان) وضع نصب عينيه تحقيق هدي السلاجقة وهما: (التوسع باتجاه الأراضي البيزنطية، وطرد العبيديين في بلاد الشام) (أبو النصر، 2001: 85).

ب. النهوض بالدولة العباسية إدارياً:

بدأت فكرة تنظيم الأمور الإدارية السلجوقية العباسية عندما قامت الدولة السلجوقية، بتحقيق إنجازات سياسية لصالح العباسيين وذلك بعد دخولهم للعراق ومساندتهم للعباسيين؛ ولذا فقد أصبح للدولة السلجوقية كيانها، وباتت تنعم بتأييد الخلافة العباسية لها، وصارت قوة إسلامية كبيرة لها وزنها في مشرق العالم الإسلامي ومغربيه؛ وقد سعى السلاجقة للمحافظة على مكاسبهم والإبقاء على الصرح الذي شيّدوه ورأوا أنهم في حاجة إلى إقرار نظم إدارية وإلى تعيين موظفين وعمال ينجزون حوائجهم ويسدون متطلباتهم ويساعدونهم في الاحتفاظ بممتلكاتهم الفسيحة (حلمي، 1975: 208).

وغلبت الطبيعة البدوية العسكرية على السلاجقة فاعتمدوا على أنفسهم في المعارك، وكانوا على النقيض تنقصهم الدراية بالأمور الإدارية؛ الأمر الذي دعاهم إلى الاستعانة بالفرس في إنشاء النظم والمؤسسات الإدارية والسياسية والثقافية (فوزي، 2009: 71).

ووثقت بعض الكتب التاريخ السلجوقي أنهم اعتمدوا على الفرس في إدارة السلطنة السلجوقية وتقلدهم الوزارات فيها، ومن الكتب التي ذكرت ذلك: كتاب (سير الملوك) أو (سياست نامه) لمؤلفه الوزير السلجوقي (نظام الملك الطوسي)، وأيضا كتاب (راحة الصدور واية السرور) (للاوندي) والذي عاصر الدولة السلجوقية وأرخ لتلك الفترة من حكم السلاجقة، وكتاب تاريخ دولة آل سلجوق (للأصفهاني) وقد أرخ فيه لدولة آل سلجوق.

وكان رئيس الدولة في النظام الإداري الجديد يحمل لقب (سلطان) ويكتسب صفته الشرعية من اعتراف الخليفة العباسي به، وكانت المناصب الإدارية في يد خمسة أشخاص لكل منهم رئاسة على ديوان يُعين كل رئيس ديوان وفق مرسوم يصدره السلطان وهذه الدواوين هي: (الوزارة، وديوان الاستفتاء، وديوان

الطغراء، وديوان الأشراف، وديوان عرض الجيوش) وإلى جانب هذه الدواوين كانت هناك عدة مناصب إدارية لها وزنها ويُعين أصحابها من قبل السلطان، وهي: (الحاجب، والكيلدر، والشحنة، والعميد، والاسفهسالار، والأتابك).

والجدير بالذكر أن السلطان (طغرل بك) منذ دخوله بغداد عمل على تقاسم السلطة مع الخليفة العباسي حيث اختص الخليفة العباسي بالجانب الديني، بينما اختص السلطان بالجانب الدنيوي، وكانت عاصمة السلاجقة مدينة أصفهان، وعاصمة الخلافة بغداد، فقام السلاجقة بنقل مقر حكومتهم من بغداد إلى أصفهان؛ لعدم قدرتهم على الإقامة الدائمة في بغداد، وبالتالي عدم تمكنهم من إدارة الشؤون السلجوقية من بغداد مع مراعاة احتفاظ بغداد بخصوصيتها لأنها عاصمة الخلافة (القعايدة، 2015: 1208) وقاموا بالإنبابة عنهم في حكم بغداد موظفاً سلجوقياً يعرف بالعميد (المسؤول عن إدارة الدولة)، وموظف آخر يُعرف بالشحنة (مسؤول الأمن)، ووضعت تحت تصرفهما قوة من الجند السلجوقي (الصلاي، 2006: 144) ولم يكن توليهم هذا المنصب يتم عشوائياً بل تتوافر فيهما بعض الشروط الملائمة (الطوسي، 2007: 85).

ومن الأمور المهمة المتبعة في الإدارة السلجوقية هو اتخاذ سلاطينهم عدداً من الوزراء لتيسير شؤونهم؛ ليشابهوا بذلك الإدارة العباسية، وأحياناً نجد انتقال الوزراء من وزارة الخليفة العباسي إلى وزارة السلطان السلجوقي (كاتي، 2018: 10). كما اهتم السلاجقة بالتنظيم العسكري، ويعتبر الوزير السلجوقي نظام المُلْك الرأس المدير لتطوير وتدعيم البنية الإدارية في مختلف المجالات سواء المدنية أو العسكرية، حيث عمل على تقسيم الوظائف الإدارية المدنية والعسكرية وحذر من تعدد وتداخل الألقاب بين المدنيين والعسكريين (محمد، 2017: 66).

ت. النهوض بالدولة العباسية دينياً:

اتبع السلاجقة المذهب السني مذهب الخلافة العباسية، ورأوا في الخلافة أنها بمثابة المصدر الروحي الذي يمنح الحكومات صفتها الشرعية، ورغم أن (طغرل بك) كانت لديه القوة والعزيمة فإنه كان لا يستتشف من تقبيل الأرض بين يدي الخليفة وتقبيل يده، وكان لا يجلس بحضرته إلا بإذنه رغم ضعفه في ذلك الوقت (حلمي، 1975: 216). ومثل الدافع الديني لدى السلاجقة سبباً مهماً لدخول العراق من أجل اكتساب الصفة الشرعية منها والحفاظ على الخلافة العباسية السنية (شريف، 2022: 95).

وقدم السلاجقة جهود عديدة منها الحد من الخلافات الدائمة التي كانت بين السنة والشيعة. فالزم (طغرل بك) الروافض بترك الأذان (بحي على خير العمل) وجعل مؤذنه ينادي في أذان الصبح (الصلاة خير من النوم)، وأزيل ما كان على أبواب مساجدهم من كتابة (محمد وعلى خير البشر)، ودخل المنشدون ينشدون بالقصائد التي فيها مدح الصحابة (ابن كثير، 2004: 1820-1823).

ومن أبرز الجهود الذي بذلها السلاجقة للوقوف في وجه المد الشيعي إنشائهم (للمدارس النظامية) والتي أشرف على إنشائها (نظام الملك) الذي لم يكن غافلاً عن تلك الهجمة الشرسة التي يشنها الشيعة؛ فبادر إلى محاربتهم عن طريق نشر العلم والثقافة الإسلامية الصحيحة وإعتاد أساليب الجدل وعلم الكلام والمنطق للرد عليهم (عسيري، 1985: 125).

وقد عمل السلاجقة على توقيف الخليفة، واضطهاد كل الفرق الشيعية، وطردوهم من أجهزة الدولة، واستخدموا القسوة معهم وخاصة مع الباطنية، وفي زمن السلطان (محمود السلجوقي) كان شديد العداوة للشيعة عامة وللباطنية خاصة، فقد حرمت الشيعة في عهده من امتلاك المدارس (والحانقات) (حلمي، 1975: 219)، ولذا نجد هذا المنهج موجود من ضمن سياستهم ولقد أكد على ذلك الوزير نظام الملك في كتابه (سير الملوك) (الطوسي، 2007: 198).

كما اهتم السلاجقة بكل المظاهر الدينية فبنوا المساجد واهتموا بها وبتصميماتها، وأسسوا المدارس النظامية التي تحمل الطابع الديني (حجازي، 2014: 27).

ث. النهوض بالدولة العباسية علمياً وثقافياً:

ومن أهم المجالات التي اهتم بها السلاجقة للنهوض بالدولة العباسية علمياً وثقافياً:

● البلاط السلجوقي وجهود السلاطين في دعم العلم والعلماء:

يعد بلاط السلاجقة في مرو حاضرة خراسان من أهم المراكز الثقافية في العهد العباسي الثاني والتي جذبت العلماء والأدباء (حسن، 1996: 399) فقد شهد العصر السلجوقي نهضة علمية كبرى؛ ازدهرت نتيجة اهتمام ورعاية السلاطين والوزراء للعلم والعلماء، حتى أصبح البلاط السلجوقي مركزاً ثقافياً عامراً بالعلماء والشعراء (مقلية، 2014: 34)، ويعتبر العصر السلجوقي عصر رواج للعلوم المذهبية والأدبية بخاصة، وعصر انطلاق للحركة المدرسية في الإسلام، والتعليم في المدارس كان امتداد لحركة التعليم في المساجد، فقد استمرت المساجد في أداء وظيفتها التعليمية في العصر السلجوقي، وألحقت بمعظمها خزائن الكتب التي أوقفها محبو العلم؛ لتحقيق المنفعة للناس، وأدار الأمراء والحكام والخلفاء والسلاطين تلك المدارس. وشهدت المدن في عصر السلاجقة وجود مجالس للتعليم يصول فيها فرسان التفسير والحديث والفقه والكلام والأدب، بالإضافة الى علوم الحساب والطب، وإلى جانب المساجد والمدارس وجدت الخانقات (الربط) والتي لم تقتصر على العبادة فقط بل أصبحت أماكن للتأليف والتصنيف والقراءة والتثقيف (حلمي، 1975: 374-377).

ويُعد عصر السلطان (ألب أرسلان) بداية النهوض الحضاري؛ فقد اهتم بالعلم والأدب ورعاية العلماء، وأنفق عليهم الكثير من ماله، وتبعه على هذا النهج

ابنه (ملكشاه) الذي شجع العلم ونشر الحضارة، وكان يهتم بالمراكز العلمية كإنشاء المدارس والربط، وشجع دراسة العلوم الدينية والعقلية بمعونة وزيره (نظام الملك)، وكذا السلطان (سنجر) الذي التف حوله مشاهير العلماء والأدباء وكان يتقرب إليهم، وبني كثيراً من المساجد والمدارس، وأنشأ خزائن الكتب وأصبح عصره مشهور بكثرة الشعراء والعلماء (خالد، 2017: 217).

● مراكز التعليم في العصر السلجوقي:

كان لمراكز التعليم في العصر السلجوقي دورها في النهضة العلمية بداية من المساجد التي ضمت حلقات لتدريس مختلف العلوم الدينية من: (قرآن كريم، وحديث، وفقه، وتفسير، وعلوم اللغة)، ثم الكتابات التي يتلقى فيها الصبيان حفظ القرآن الكريم والكتابة والحساب، ثم المدارس والتي من أهمها (المدارس النظامية)، والمكتبات الملحقة بالمساجد والمدارس كانت ضمن المؤسسات التعليمية؛ لما تحتويه من كتباً شتى في جميع أنواع العلوم والآداب (مقلية، 2014: 34-35).

● الوزراء السلاجقة ودورهم في دعم العلم والعلماء:

لقد اهتم وزراء السلاجقة بالعلم والعلماء، فجمع (نظام الملك) بداره الفقهاء والعلماء الذين كانوا يلقون منه كل مظاهر التكريم والتشجيع (حسن، 1996: 403)، ودعا العلماء للعمل في خدمة بلاط السلاطين السلاجقة، وزودهم بالأدوات اللازمة لعملهم مثلما فعل مع (عمر الحيام) وذلك عندما قدم له مرصداً فلكياً كان من أحدث المراصد الفلكية في حينها فساعدته في حساباته وإرصاداته الفلكية على تنقيح التقويم المستعمل في زمانه والذي ما زال يعرف حتى يومنا هذا باسم (التقويم الجليلاني) أو (التقويم السلجوقي) (رايس، 1968: 146) كما شجع العلماء والأدباء بالإنفاق عليهم فقد رتب لهم رواتب ثابتة تصرف لهم بانتظام. ومن أهم ما قدمه في هذا المجال أيضاً المدارس النظامية والتي تعد أول المدارس العلمية المنظمة في الإسلام (الزهراني، 1980: 98-199).

- الوزير نظام الملك (مؤسس النظاميات):

هو الحسن بن إسحاق بن العباس، أبو علي الطوسي، ولد بطوس سنة 408هـ-1017م وكان من أولاد الدهاقين وأرباب الضياع بناحية بيهق (ابن الجوزي، 2013: 435)، وزر لسلطان (ألب أرسلان)، وولده (ملكشاه) تسعاً وعشرين سنة، كان من خيار الوزراء. وكان أبوه ممن يخدم أصحاب محمود بن سبكتكين فأشغل ولده بقراءة القرآن، وله إحدى عشرة سنة، وأشغله بعلم القراءات والتفقه على مذهب الشافعي وسماع الحديث واللغة والنحو، وكان عالي الهمة صالحاً (ابن كثير، 2004: 1856)، لقب بـ (تاج الحضرتين)؛ لأنه وزير لسلطانين (السلطان ألب أرسلان وابنه السلطان ملكشاه) ومُنح من دار الخلافة لقب (رضي أمير المؤمنين) في حين أن الخلفاء لم يمنحوا لقباً لأي وزير غيره (الطوسي، 2007: 19).

كان يراعي أوقات الصلوات، ويصوم الاثنين والخميس، ويكثر الصدقة، وكان حليماً وقوراً (ابن الجوزي، 2013: 436)، عالماً ديناً جواداً عادلاً، كثير الصفح عن المذنبين، طويل الصمت، وكان من حفظة القرآن (ابن الأثير، 2004: 208)، عاقل سائس (خبير بأمور السياسة والقيادة) متدين محتشم عامر المجلس بالقراء والفقهاء (الذهبي، 2004: 1424) وكان يناظر العلماء في المحافل، ويبحث عن غوامض المسائل؛ لأنه اشتغل بالفقه في حداثة سنه (أي شامة، 2002: 141).

اشتغل في وزارة السلجوقية ثلاثين سنة، وكان له بر كبير وصلات لأهل العلم والفقراء والضعفاء والمساكين، وهو باني نظامية بغداد ونيسابور، وأصبهان وطوس، وبنى الرباطات وغير ذلك (ابن كثير، 2004: 455-456)، ورغب في العلم فكان أول من سن نظاماً جديداً في حقل التربية والتعليم، وهو تعيين رواتب، وتخصيص مساكن لطلاب العلم، وتأمين سكن ونفقات للمدرسين (الطوسي، 2007: 21)، وأهتم نظام الملك بالتنظيمات الإدارية فكان اليد الموجهة لأداء الدولة في عهد

السلطان (ألب أرسلان)، واتسعت سلطاته في عهد السلطان (ملكشاه) فأشرف بنفسه على رسم سياسة الدولة الداخلية والخارجية بشكل كبير، وألف كتاباً (سياسة نامه أو سير الملوك) تضمن الآراء والنظريات الإدارية التي تعتبر أساساً لنظام الحكم وإدارة الدول والممالك، وكان له دور مهم في إصلاح الأراضي الزراعية وتنظيم توزيعها على شكل إقطاعات على رؤساء الجند على أن يدفع كل مقطع مبلغاً من المال لخزينة الدولة مقابل استثماره للأراضي التي أقطعت له؛ فكان هذا الإجراء سبباً في تنمية الثروة الزراعية؛ بعدما أهتم المقطعون بإصلاح الأراضي فزاد إنتاجها (الصلاحي، 2006: 122-125).

قتل نظام الملك سنة 485هـ-1092م بالقرب من نهاوند، وكان هو والسلطان (ملكشاه) في أصبهان، وقد عاد إلى بغداد فلما كان بهذا المكان بعد أن فرغ من إفطاره، وخرج إلى خيمة حرمة، أتاه صبي ديلمي من الباطنية في صورة مستغيث فضربه بسكين كانت معه فقضى عليه وهرب (ابن الأثير، 1987: 205). وقيل أن السلطان من أتهم بقتله، فلم تطل مدته بعده سوى 35 يوماً، ولما بلغ أهل بغداد موت نظام حزنوا عليه وجلس الوزير والرؤساء للجزاء ثلاثة أيام ورثاه الشعراء (ابن كثير، 2004: 1856).

❖ المدارس النظامية:

شيدت المدارس النظامية من طرف الوزير نظام الملك فهو الذي خطط لها وأوقف الأوقاف الواسعة عليها، واختار أكفأ المعلمين لها، ونسبت هذه المدارس إليه دون السلاجقة. فلم يكن نظام الملك أول من بنى المدارس في الإسلام، ولكن تأتي شهرة المدارس النظامية وتميزها؛ في كونها انفصلت عن الجامع والمسجد في بنائها، ومناهج دراستها، وفرض الأعطيات والأموال لأساتذتها وطلابها، وإشراف الحكومة عليها، وتوظيف طلابها المتميزين (الوهاب، 2021: 87).

وبدأ التفكير الفعلي في إنشاء المدارس النظامية؛ لمقاومة الوجود الشيعي عقب اعتلاء السلطان (ألب أرسلان) عرش السلاجقة، وقام بهذه المهمة الوزير السلجوقي (نظام الملك)؛ الذي رأى أن الاقتصار على مقاومة الشيعة سياسياً لن يكتب له النجاح إلا إذا اقترن بمقاومة فكرية، وخصوصاً أن الشيعة عملت على استخدام وسائل فكرية متعددة للترويج لدعوتهم؛ فرأى نظام الملك ضرورة مقاومة هذا النشاط الشيعي بنشاط سني مماثل يتصدى بالحجة والبرهان، وهناك سبب آخر لإنشائها؛ وهو رغبة نظام الملك في نشر المذهب الشافعي؛ لأنه تفقه على المذهب الشافعي (تازي، 2018: 67)، وأيضاً إيجاد طائفة من المعلمين السنيين المؤهلين لتدريس المذهب السني ونشره في الأقاليم المختلفة، وإيجاد طائفة من الموظفين السنيين ليشاركوا في تسيير مؤسسات الدولة، وإدارة دواوينها وبخاصة في مجال القضاء والإدارة (الصلاي، 2006: 284).

ومن أهم المدارس النظامية:

فقد تكلم (ابن جبير) خلال رحلته إلى العراق عن عظمة وشهرة المدارس النظامية فقال: "المدارس بما نحو الثلاثين، وأعظمها وأشهرها النظامية وهي التي ابتناها نظام الملك وجددت سنة 504هـ، ولهذه المدارس أوقاف عظيمة، وعقارات محبسة تتصير إلى الفقهاء المدرسين بما (ابن جبير، 2012: 205).

وتحدث (أبو شامة) عن تعدد هذه المدارس وشمولها فقال: "ومدارسه في العالم مشهورة لم يخل بلد من شيء منها، حتى جزيرة ابن عمرو التي هي في زاوية من الأرض لم يؤبه لها بنى فيها مدرسة كبيرة حسنة وهي التي تعرف الآن بمدرسة رضي الدين" (أبي شامة، 2002: 141-142).

ومن المدارس التي قام نظام الملك ببنائها مدرسة: (بغداد، وبلخ، ونيسابور، وبهراة، وأصفهان، والبصرة، ومرو، والموصل). وكان اختيار هذه الأماكن وفقاً لاعتبارات عدة منها: جغرافية وأخرى سياسية أما الاعتبارات

الجغرافية؛ لكون أن هذه المدن هي أمهات المدن بالشرق الإسلامي، وأنها تحتل الريادة في جانبها السياسي وتوجهها الفكري، فمثلاً بغداد؛ هي عاصمة الخلافة العباسية وموقعها ذا ميزة واستراتيجية سياسية، ومقر إقامة لكثير من العلماء والمفكرين، أما اصبهان؛ فهي عاصمة السلطنة السلجوقية، في حين تعتبر بقية المدن معقلاً لتجمعات أنصار الفكر الباطني كالبصرة ونيسابور، وتواجد المدارس بها هو بمثابة محاربة أفكار وآراء الباطنية، والعمل على إضعافها في معاقها (فني، 2016: 62).

وسائل تنظيم التعليم في المدارس النظامية:

- **المنهج والمواد المعتمدة للتدريس بالنظاميات:** سارت المدارس النظامية في تدريسها على مادتين أساسيتين وهما: الفقه على المذهب الشافعي، وأصول العقيدة على المذهب الأشعري، بالإضافة إلى تدريس بعض المواد مثل: الحديث، والنحو، وعلم اللغة، والأدب (الوهاب، 2021: 89).
- **أسلوب التشجيع وتوفير الموارد المادية للمدارس النظامية:** حيث استحدث نظاماً جديداً في حقل التربية والتعليم وذلك بصرف المخصصات للطلاب والمدرسين، وتوفير السكن والخدمات لهم، وتخصيص أجنحة فيها لإيواء الفقراء وتقديم المساعدات لهم (أبو الرب، 2007: 880-881).
- **اختيار المدرسين:** كان يتم اختيار أساتذتها بعناية تامة بحيث كانوا من أعلام عصرهم في علوم الشريعة، وفي كثير من الأحيان كان نظام الملك لا يعين الواحد منهم إلا بعد أن يستمع إليه ويثق في كفاءته (الصلاي، 2006: 285).
- **بعض مدرسين وتلاميذ المدارس النظامية:** التحق أكبر المدرسين بالمدارس النظامية فتولوا مهمة التدريس بها ومن أشهرهم: (أبو نصر بن محمد الصباغ - أول من تولى التدريس بنظامية بغداد-، وأبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، وأبو حامد الغزالي، وأبو المعالي الجويني) وقد كان لخريجين المدارس

النظامية أثراً كبيراً في توجيه الحياة الفكرية والسياسية في ديار الإسلام ومنهم: (أبو المظفر السمعاني، وابن عساكر، والعماد الأصفهاني، وأبو بكر بن العربي) (تاري، 2018: 69-70).

أثر المدارس النظامية:

لقد ساهمت المدارس النظامية على نشر الثقافة والعلم، وأمدت أجهزة الدولة بالعناصر المتعلمة المثقفة؛ والتي كان لانضمامها إلى جهاز الدولة آثارها البعيدة على دقة التنظيم، وأمدت المدارس التي أنشئت فيما بعد بعلماء وأساتذة مؤهلين، ومفكرين عظماء أمدوا المكتبة الإسلامية بعدد كبير من المؤلفات في علوم الشريعة واللغة والأدب والتاريخ والمنطق والجدل (عسيري، 1985: 255-256).

كما أسهمت هذه المدارس في إعادة دور منهج السنة في حياة الأمة بقوة، وتقليص نفوذ الفكر الشيعي، ونجحت في نشر مذهب الإمام الشافعي، وأيضاً أصبحت المدارس النظامية نموذجاً يتخذه مؤسسين المعاهد، وصارت مدعاة للتنافس وبناء المزيد من المدارس (الصلاي، 2006: 293).

وكان لها أثراً طيباً على المدى البعيد في تحريض المسلمين على الجهاد والفتوحات ومقارعة الصليبيين فقد تمكن (عماد الدين زنكي) من استرجاع الرها وذلك بعدما ولاه السلطان محمد السلجوقي شحنة بغداد (الحامية العسكرية)، واستطاع زنكي أن يوحد أكثر أقاليم الجزيرة وبلاد الشام تحت قيادته حتى يتمكن من مجاهدة الأعداء، والتمهيد لفتح (الرها) والتي حاصرها عام 539هـ وكانت تحت حكم الصليبيين فحاصرها 28 يوماً ثم دخلها عنوة فاستباحها ونكس صلبانها وأباد رهبانها وعادت إلى حكم الإسلام (العبد، 1999: 103-106).

ج. النهوض بالدولة العباسية فنياً:

رغم انشغال السلاجقة في حروب مستمرة سنة بعد سنة فقد كان لديهم مُتسع من الوقت لرعاية وإنشاء وتعمير الكثير من المستشفيات والمؤسسات الخيرية التي تزيد عن عدد المعارك التي خاضوها (رايس، 1968: 118).

وأدخل السلاجقة للعراق فناً معمارياً كانت شائعة في المشرق، وتأثر الطراز المعماري السلجوقي بطراز المعمار في فارس والعراق نتيجة اعتماد السلاجقة على معماريين من تلك الأقاليم ومن النواحي العمرانية التي اهتم بها السلاجقة: بناء المساجد والجوامع، وبناء المدارس، وبناء القصور، والاسوار والقلاع (مقلية، 2014: 32).

ويرجع نشاط حركة العمارة في الدولة العباسية إلى جهود الوزراء السلاجقة وخصوصاً (نظام الملك) الذي أبدى اهتماماً كبيراً بالمنشآت المدنية وخاصة دور العبادة، حيث أقام العديد من الرباطات بالعراق، كما اهتم الوزراء بالعمارة ومنهم (فخر الدولة ابن جهيز) الذي أصلح ما تخرب من جامع دار الخلافة ووسع مساحته، وقام بعمل منبراً كبير الحجم للمسجد الحرام لتقام عليه الخطبة لخلفاء بني العباس (الزهراني، 1980: 197).

ثانياً: أبرز علماء السلاجقة:

برز في عهد السلاجقة العديد من العلماء الأجلاء الذين كان لهم دوراً هاماً في خدمة الإسلام والعمل على إحياء السنة وخدمتها، وكان من أهمهم: (الجويني، والغزالي، والبغوي) ولذا سنقوم بالترجمة لهذه الأعلام المهمة:

1) الجويني، عالم النظامية:

هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد ابن حيوية، العلامة إمام الحرمين، ضياء الدين أبو المعالي ابن الشيخ الإمام ركن الدين أبي محمد الجويني، رئيس الشافعية بنيسابور، ولد سنة 419هـ، وتوفي سنة 478هـ (ابن كثير، 2004: 446-449).

وتفقه على يد والده، وتوفي أبوه وعمره عشرون سنة، فدرس مكانه وكان يتردد إلى مدرسة البيهقي، وأحكم الأصول على أبي القاسم الأفراييني الاسكاف، وكان ينفق من ميراثه، سافر إلى بغداد وصحب الوزير أبا نصر الكندري وكان يلتقي في حضرته بكبار العلماء وينظرهم فتحنك بهم وتهذب وشاع ذكره ثم حج وجاور هناك أربع سنين يدرس ويفتي ويجمع طرق المذهب ثم رجع إلى بلده نيسابور ودرس بنظامية نيسابور، وكان قليل الرواية للحديث معرضاً عنه-واعتقد أن ذلك من باب احتياطة في الرواية لا عن جهله به، كما هو حال السلف الصالح- وكان يجمع بين علم الظاهر والباطن مع صفاء الأوقات ودوام العبادة وكثرة الذكر وجميل الأخلاق(الذهبي، 2004: 470).

وأهم المصنفات التي كتبها وصنفها الجويني: كتاب نهاية المطلب في دراية المذهب، وكتاب الإرشاد في الأصول، وكتاب الشامل، وكتاب البرهان في أصول الفقه، ومدارك الأصول، وكتاب الرسالة النظامية في الأحكام الإسلامية (ابن كثير، 2004: 447).

2) أبو حامد الغزالي:

هو الشيخ، الإمام البحر، حجة الإسلام، وأعجوبة الزمان، زين الدين، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف والذكاء المفرط، ولد بطوس سنة 450هـ، وتوفي سنة 505هـ الإسلامية (ابن كثير، 2004: 535).

وتفقه ببلده أولاً، ثم تحول إلى نيسابور في مرافقة جماعة من الطلبة فلازم إمام الحرمين -الجويني-، فبرع في الفقه وكان ماهراً في الكلام والجدل والمناظرة، فأقبل نظام الملك-الوزير السلجوقي- عليه وسر بوجوده وناظر الكبار بحضرته، فشاع أمره فولاة النظام تدريس نظامية بغداد، وله مؤلفات في الفقه والكلام والحكمة، وجمع من كل فن وصنف فيه إلا النحو والحديث، وكان مقبلاً على

العبادة وملازمة تلاوة القرآن الكريم وفي آخر عمرة اشتغل بعلوم الحديث وخصوصاً بصحيح البخاري حتى يقال أنه مات وهو على صدره (ابن كثير، 2004: 536).

وأهم المصنفات التي صنفها أبو حامد الغزالي، هي: البسيط في الفقه، والمستصفى في أصول الفقه، وإحياء علوم الدين، وكتاب الرد على الباطنية، وجواهر القرآن، وشرح الأسماء الحسنى (ابن كثير، 2004: 535).

3) الإمام البغوي محي السنة:

هو الحسين بن مسعود بن محمد، العلامة محيي السنة، أبو محمد البغوي، ويعرف بابن الفراء، ولد في بلدة بغشور في أوائل العقد الرابع من القرن الخامس الهجري (الزبد، 1995: 12)، أحد أئمة المذهب الشافعي في التفسير والحديث والفقه، صاحب معالم التنزيل، وشرح السنة، والتهذيب والجمع بين الصحيحين، والمصابيح وغيرها من المصنفات المفيدة المشهورة، وتفقه على القاضي حسين بن محمد صاحب التعليقة، وروى عنه الحديث، توفي بمرور في شوال، سنة 516هـ (ابن كثير، 2004: 522).

ونشأ البغوي شافعي المذهب غير متعصب لإمامة ولا مندد بغيره من العلماء، ومنهجه في العقيدة منهج السلف الصالح من الصحابة، فلم يشغل نفسه بخلافات المتكلمين في زمانه من الفرق كالمعتزلة والجهمية بل التزم منهج أهل السنة ونشره ودافع عنه، وقد تنقل في كثير من البلاد طلباً للعلم، وقد أجمع علماء أهل السنة على جلاله قدره ورسوخ علمه بالكتاب والسنة وعلومهما، وهو من أئمة الحديث الشريف، واسع المعرفة بمتونه وأسانيده وأحوال رجاله، وإمام في الفقه والأحكام والتفسير وعلوم القرآن، وكان قانعاً باليسير وكان ديناً عالماً عاملاً على طريقة السلف ومنهجهم، وكان لا يلقي الدرس إلا على طهارة، وكان زاهداً

ومقتصداً في لباسه له ثوب وعمامة صغيرة على منهج السلف وله القدم الراسخ في التفسير والباع المديد في الفقه (الذهبي، 2004: 441).

ولقد لقب البغوي بمحي السنة لما كان له من جهود عظيمة في الدفاع عن السنة والعمل على أحيائها ومحاربة المبتدعة في زمانه من الفرق الباطلة كالمعتزلة والجهمية، فقد التزم بمنهج أهل السنة والجماعة ودافع عنه، وعاصر البغوي الفترة التي شهدت وجود المتكلمين من المعتزلة وغيرهم، فقد تصدى لهم من خلال التعليم والتأليف وكانت حصيلة جهوده العديد من المؤلفات القيمة التي تخدم السنة والدين سواء في مجال التفسير أو الحديث أو الفقه والأحكام، ومن أشهر مؤلفاته ما يلي: كتاب معالم التنزيل، وكتاب شرح السنة، وكتاب مصابيح السنة، وكتاب التهذيب، وكتاب المصابيح (الزبد، 1995: 12).

ثالثاً: المعالم الحضارية السلجوقية في الحضارة العباسية:

كان السلاجقة أقوام تتميز بالترحال بحثاً عن الاستقرار، ولما أسسوا دولتهم اتجهوا إلى إنشاء البنايات الضخمة لتتفق مع حياتهم الجديدة، وقد تميزت العمائر السلجوقية بالضخامة والاتساع وقوة مظهرها، واستخدام الزخارف المجسمة المتنوعة ولاسيما في واجهاتها وأبوابها، وكان مدخلها يتميز بالضخامة والمهابة، أيضاً كان أكثر ما يميز العمائر السلجوقية التناسب في شكل البناء (حلمي، 1975: 130-131)، وتتميز السلاجقة في فن بناء المدارس والقصور وكانوا يستعينون ببنائهم بالمعماريين العرب أو الفرس (التونجي، 1974: 121).

ويعتبر الفن السلجوقي استمراراً لفن دولة الخلافة العباسية الفارسي النشأة فادخلوا الكثير من المستجدات على الفن العباسي ففي العمارة مثلاً اهتموا بالواجهات والبوابات والمآذن العالية والقباب المرتفعة (عاشر، 1996: 528)، وكان سلاطين السلاجقة أنفسهم يحمون هذه الفنون ويشجعون عليها ، وقد تأثرت

الدولة العباسية بهذه الفنون، فأولع الخلفاء العباسيون والأمراء ببناء القصور الفخمة المحلاة بالرسوم والزخارف من الداخل وعليها صور من الجص المجسم (حسنين، 1975: 175).

وعندما قدم السلاجقة إلى العراق كان لهم أثراً كبيراً في تأسيس الأبنية والمنشآت، فمنذ أن وطأت أقدامهم العراق بدأوا بالتوسيع والترميم والإنشاء، ففي عهد السلطان (ألب أرسلان) بنيت المدارس النظامية بالاستعانة بالوزير نظام الملك، وفي عهد ابنه (ملكشاه) تقدمت الفنون وازدانت المدن بالمدارس والكليات والمستشفيات وعمرت الطرق وشقت القنوات، فكان من نتائج احتكاك السلاجقة بالعراق ازدياد اهتمام الناس بالعمران وخاصة الخلفاء الذين انصرفوا إلى بناء القصور الفخمة، وإقامة الحدائق، وشيدت حول تلك القصور الأحياء والأسواق، وأصبحت تلك الأحياء أصلاً لمدينة بغداد ففي مستهل حكم الخليفة المستظهر سنة 487هـ تم إنشاء سور عظيم وخندق واسع يحيطان بالمدينة ويضمان داخلها دار الخلافة وسورها وجميع العمران الذي نشأ حولها (أمين، 1965: 288-289).

وتأثرت البلدان التي يفتحها السلاجقة بأساليب العمارة السلجوقية كالعراق، والشام وآسيا الصغرى، ومن المؤسف أن معظم المباني التي شيدها السلاجقة قد زالت وضل الاقتداء بأساليبهم المعمارية قائماً من قبل الدول (حلمي، 1975: 223).

وتنوعت العمارة في العصر السلجوقي، فجاءت العمارة في عصرهم متعددة الأغراض الدينية، والاجتماعية، والتجارية، والحربية، والمدنية، كما تنوعت وتطورت أساليب التخطيط المعماري لديهم؛ فكانت العمارة السلجوقية نتاجاً لحضارات عديدة وعريقة تمثلت في حضارة بلاد ما وراء النهر، ووسط آسيا، والحضارات البيزنطية، وحضارة السلاجقة البدو الرُّحل أنفسهم بحيث أنهم عملوا

على صهر كل تلك الحضارات في بوتقة واحدة وأخرجوا منها لون من الحضارة التي تميز بها السلاجقة (عبد العزيز، 2012: 26-27).

1) العماثر الدينية:

هناك العديد من العماثر الدينية التي اهتم السلاجقة ببنائها ومنها: (المساجد والمآذن والأضرحة والمدارس).

أ. المساجد والمآذن:

تعد المساجد من أقدم المشاريع المعمارية التي بناها المسلمون، فقد كانوا عندما يفتحون بلداً ثم يسكنون فيه يبنون مسجداً لأداء فريضة الصلاة، ثم توسع المسلمين في إنشاء المساجد والجوامع واستعانوا بأهل الخبرة في فنون البناء لذلك فأبدعوا في ذلك وكانوا دائمي العمل على توسعتها (سعد، 2015: 377).

ومن أشهر العماثر التي خلفها العصر السلجوقي (الجامع النوري) في الموصل، ومئذنة هذا الجامع ما زالت قائمة إلى الآن، وقد نُقل محراب هذا الجامع إلى متحف القصر العباسي في بغداد بحيث يعد تحفة فنية رائعة فقد أبدع النحات في تزيينه وجمع بين الزخارف الشجرية، والهندسية، والأزهار المتشابكة (أبو عزة، 1969: 259). ومن ضمن المساجد السلجوقية (مسجد الحظائر) والتي بنته (زمرد خاتون) أم الخليفة الناصر لدين الله، ويعتبر من أقدم المساجد في بغداد، وما يزال قائماً، ومأذنته هي المأذنة الوحيدة الباقية من العصر السلجوقي وقد تأثر بناء المآذن بها بعد ذلك (أمين، 1965: 298).

ويتميز العصر السلجوقي باستعمال المآذن الأسطوانية الشكل الشاهقة الارتفاع، وكان القسم العلوي منها يُطلّى باللون الغامق، وفي آخر العصر السلجوقي كانت المآذن ذات ثلاثة أقسام يصغر كل قسم منها عن الذي أسفله (حلمي، 1975: 235).

وقد تأثر العراق بالفن السلجوقي في بناء المساجد، ومن أشهر المآذن العراقية المتأثرة بالفن السلجوقي (مأذنة الجامع النوري) في الموصل الذي شيده نور الدين زنكي حيث شيد الجامع الذي عرف (الجامع النوري) وقد أوقف على الجامع أوقافاً كثيرة وتعتبر مأذنته من أطول المآذن في العراق (أمين، 1965: 301).

ب. الربط:

لقد انتشر في العراق عمارة الربط وهي أماكن للصوفية والزهاد وصارت مراكز للتعليم والتأليف، ومن أشهر الربط التي شُيّدت في العصر السلجوقي (رباط الخدم) الذي شيده (أبو الحسن الخادم) وبناه في الجانب الشرقي من العراق، وأيضاً (رباط الدرجة) على نهر دجلة عند سوق المدرسة النظامية. واستمر العراقيون في إنشاء الربط حتى بعد زوال السلطنة السلجوقية وظلت تلك الربط تراثاً للأبنية السلجوقية ومن أشهرها (رباط الإخلاطية) وهو من ابنة الخليفة (الناصر لدين الله) و(رباط أرجوان) والدة الخليفة المقتدي بأمر الله (أمين، 1965: 286).

ت. المدارس:

وتعتبر المدارس من أهم المستحدثات المعمارية التي أتحف بها السلاجقة الإسلام، حيث لم تكن هناك مدارس خاصة يتلقى فيها التلاميذ العلوم الدينية بانتظام قبل القرن الرابع الهجري، بل كان يقتصر الأمر في البداية على المسجد، ثم أنشأ نظام الملك وزير السلطان (ملكشاه) السلجوقي المدارس النظامية المشهورة في بغداد سنة 457هـ ثم في نيسابور وغيرها، ثم اقتدى الناس بنظام الملك فأسسوا المدارس في العراق وخرسان وما وراء النهر، وقد اقتدى السلطان نور الدين زنكي بالسلطان (ملكشاه) حيث قام في القرن السادس الهجري ببناء العديد من المدارس للشافعية والحنفية ثم أنتقل هذا الأمر إلى مصر وغيرها من المدن (حسن، 1996: 569).

وقد هدف نظام الملك من نشر المدارس في مدن الشرق (بغداد ونيساوور وطوس) إلى مقاومة انتشار المذهب الإسماعيلي المتطرف في البلاد. ومن أشهر المدارس النظامية نظامية بغداد التي بُنيت عام 457هـ التي أنفق عليها الأموال وأوقف عليها الأسواق والضيايع والخانات والحمامات، وهي التي أذاعت صيت نظام الملك ورفعت من شأنه، وعلى غرار المدارس النظامية بُنيت لاحقاً (مستنصرية بغداد) التي بُنيت عام 630هـ على أساس تخطيط يسمح بتدريس المذاهب الأربعة ثم من بغداد انتشر نظام المدارس إلى آسيا الصغرى وبلاد الشام مثل (المدرسة النورية) سنة 568هـ، ثم في مصر (المدرسة الكاملية) سنة 622هـ، ليكون بذلك نظام الملك قدوة للملاحقين من بعده في إنشاء المدارس التي هدفها الأول خدمة الإسلام (عاشور، 1996: 532-533).

فقد شُيّدت مدارس كثيرة في العصر السلجوقي زال معظمها والباقي منها أدخلت على ابنيها الإصلاحات والتوسيعات ومن أشهر هذه المدارس التي كانت في العصر السلجوقي (مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلاني) وكانت خاصة بأصحاب المذهب الحنبلي وهي المكان الذي دفن فيه الشيخ عبد القادر الجيلاني مدرس المدرسة ويقوم مكائها اليوم جامع كبير مشهور في بغداد (جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني) (أمين، 1965: 285).

ث. المقابر والأضرحة:

يُنسب إلى السلاجقة نشر نظام الأضرحة التي قد يكونوا أتو بعاداهم الجنائزية من آسيا الوسطى، فقد كانت الأضرحة تُبنى على شكل أبراج إسطوانية، وفي بعض الأحيان يعمل لها أضلاع وعدة أوجه أو تعمل على شكل ابنية ذات قباب، وقد بدأ انتشار هذا النمط من الأضرحة في خرسان ثم عم سائر أنحاء المشرق الإسلامي، وقد استخدم الأجر في بناء الأضرحة وكان يجعل أمام مدخلها

في العادة رواق صغير، وما يزال أحدها قائماً في الموصل وهو ضريح الإمام يحيى الذي يرجع تاريخه إلى سنة 637هـ (أبو عزة، 1969: 258).

وتأثر بهذا النمط العباسيين وذلك في بناء قبر الست زبيدة زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد، أيضاً في مرو ضريح السلطان سنجر 552هـ، وفي طوس قبر الغزالي 505هـ وانتقل هذا النمط من البناء في الهند حيث شاع لديهم اتخاذ نمط المقابر الفارسية ذات القباب والتي اعتمده السلاجقة، ولم يكتف السلاجقة بعملية البناء بل كانوا يهتموا بالتجديد أيضاً فقد قاموا ببناء قبة عالية على قبر الإمام أبي حنيفة بعد تجديده (عاشور، 1996: 533).

2) العماثر المدنية:

كان السلاجقة أهل ترحال وتنقل دائم، أسسوا دولتهم وعاشوا مرحلة جديدة وهي مرحلة الاستقرار، والتي أعقبها حملة من البناء والتقدم في سبيل التكيف مع الوضع الجديد لديهم فعملوا على بناء القصور والخانات، إلا أنه لم يبق من أثر هذه القصور السلجوقية إلا القليل ففي بغداد بقي قسم من (إيوان القلعة)، وفي الموصل بقيت آثار قصر (قرة سراي) (عاشور، 1996: 535).

أما عن الخانات السلجوقية فأيضاً لم يبق منها ما يدل على طبيعة عمارتها في العراق وفارس، إلا أنه قد وجدت نماذج منها في آسيا الصغرى ونظامها عبارة عن حجرات مقبوه تدور حول الصحن الذي يتوسطه مصلى صغير ومن هذه الخانات (سلطان خان) في طريق قونية 626هـ (عاشور، 1996: 535).

كما اهتم السلاجقة أيضاً بعمارة البيمارستانات فعملوا على إنشاء العديد منها، وتعمير ما أصابها من الخراب، ويتضح ذلك من أمر السلطان (طغرل بك) بعمارة (بيمارستان العضدي) فقد أولى جماعة من كبار الموظفين في الدولة العباسية بالإشراف عليه وظل هذا البيمارستان في الخدمة حتى سقوط بغداد (البابا، 2009م: 29).

3) العمائر الحربية:

كان السلاجقة يتميزون بكونهم أهل حرب وجهاد؛ فقد اهتموا بالعمائر الحربية التي تمثل جانباً مهماً لحماية دولتهم من المعسكرات المعادية، فاهتموا ببناء التحصينات والأسوار والقلاع فلقد جددوا أسوار بغداد القديمة، فمنذ أن دخل (طغرل بك) العراق ونزل دار الخلافة بدأ السلطان (طغرل بك) ببناء سور عريض في بغداد، وفي مستهل حكم الخليفة (المستظهر) تم إنشاء سور عظيم وخذق واسع يحيطان بالمدينة الجديدة، ويضمان داخلها دار الخلافة وسورها وجميع العمران الذي نشأ حولها، وقد أكمل هذا السور في عهد الخليفة (المسترشد)، وقد جعل للسور أربعة أبواب: (باب السلطان وهو ذكرى للسلطان طغرل بك السلجوقي، وباب البصلة، وباب الطلسم، وباب الظفرية) ومن الأبواب التي بنيت في العصر السلجوقي (باب الظفرية) وهو أحد أبواب بغداد الشرقية والذي شيد في العصر السلجوقي، وقد اتخذته الحكومة العراقية متحفاً للأسلحة القديمة، وهو غني بالزخارف الهندسية المختلفة التي تشهد على الفن المعماري السلجوقي، وقد كانوا يبدعون ويتفنون في بناء هذه الأبواب مثل: الباب من نوع الباشورة ذي لانعطافات، والباب المدرج، وبرج المطار الخاص بالحمام الزاجل الإسلام(عاشور، 1996: 534).

الخاتمة

أسهم السلاجقة في استمرار الخلافة العباسية لفترة طويلة بعد القضاء على الخطر البويهى الشيعي، وأمدوا الحضارة العباسية بالكثير من الاسهامات الحضارية التي كان لها الأثر والواضح في الخلافة العباسية، وتوصل الباحث في نهاية مقاله إلى عدة نتائج وتوصيات وهي:

أولاً: النتائج:

- خلص الباحث في دراسته إلى أهم النتائج وهي:
- توثقت العلاقات العباسية بالسلاجقة بعد قيام دولتهم في نيسابور سنة 429هـ، وخطب لهم على منابر بغداد، ونقش اسم سلطاهم على السكة، وأغدق عليه بالخلع والألقاب.
- كان لاعتراف الدولة العباسية بالسلاجقة دوراً مهماً في تقارب العلاقات ما بينهم.
- حرص السلاجقة على تلبية طلب الخليفة من دخول بغداد سنة 447هـ-1055م، وتقديم المساندة للخلافة العباسية.
- قامت العلاقات ما بين (السلاجقة والعباسيين) على المصالح المتبادلة، فالسلاجقة سعوا للحصول على اعتراف الخليفة العباسي صاحب النفوذ الروحي بدولتهم، والخلافة العباسية حرصت على إيجاد نفوذ قوي بجانبها تُساندها ضد أعدائها.
- سعى الطرفين (العباسيين والسلاجقة) على توطيد تلك العلاقات بالمصاهرة فيما بينهم.
- تباينت العلاقات ما بين سلاطين السلاجقة والخلفاء العباسيين ما بين الود والتوتر وفق فترات مختلفة تبعاً لسلطينهم.
- كان للوزراء السلاجقة دوراً مهماً في النهضة بالدولة العباسية، ومن أهمهم الوزير (نظام الملك الطوسي) الذي ساهم في إدارة الدولة العباسية والسلطنة السلجوقية على حد سواء من جميع النواحي.
- برز في عصر النفوذ السلجوقي العديد من العلماء والمفكرين ساهموا في احياء السنة والدفاع عنها، والعمل ضد الفرق الضالة من الشيعة والباطنية.

- انتهى النفوذ السلجوقي في العراق سنة (590هـ-1194م) لتظافر العديد من الأسباب ومن أهمها النزاعات الداخلية بين السلاجقة، وضعف الخلفاء العباسيين، واستعانة الخلفاء العباسيين بالخوارزميين الذي انتهى النفوذ السلجوقي على أيديهم.
- قدم السلاجقة للعالم الإسلامي عامة وللخلافة العباسية خاصة نموذجاً مهماً من الدفاع عنها.
- عمل السلاجقة على إنقاذ الخلافة العباسية السنية من خطر التشيع ومحاربة الدولة الفاطمية الشيعية، والحد من نفوذها.
- واجه السلاجقة المد الباطني، وحد من نفوذه.
- عمل السلاجقة على نهضة الدولة العباسية دينياً، وسياسياً، وعسكرياً، وثقافياً.
- أنشئ السلاجقة المدارس النظامية، والتي كان لها دوراً مهماً في نشر العلم، والتبصير بخطر التشيع، ودورها في إيجاد نخبة من العلماء والمفكرين عملوا على احياء السنة.
- كان للسلاجقة دورهم البارز في النهضة العمرانية، ويعزى ذلك لاهتمام السلاطين بالعمارة، ويتمثل ذلك بما خلفوه من الميراث العمراني سواء على الصعيد الديني كالمساجد والمآذن والمدارس، أو المدني كالقصور، أو الحربي كالأسوار والأبواب.

ثانياً: التوصيات:

يوصي الباحث إلى ما يلي:

- 1- ضرورة تسليط الضوء على تاريخ الدول الإسلامية، وخصوصاً العلاقات التي تربطها مع الدول الأخرى، سواء كانت دول إسلامية أو دول معادية.
- 2- العمل على تقديم حضارتنا الإسلامية في صورة مشرقة مشرفة للعالم، وذلك بعمل خطة مدروسة تؤدي إلى نهضة شاملة في جميع المجالات، وتستغل فيها كل الإمكانيات المتوافرة من: دراسة، وبحث، ومؤتمرات، وندوات، وتبادل ثقافي.. الخ.
- 3- دعوة الدول إلى ضرورة الاهتمام بالموروث الحضاري في العالم الإسلامي عامة.

4- قيام الباحثين بعمل بحوث نوعية تتحدث عن علاقات الدولة العباسية مع الدويلات الأخرى، وتخصيص الجزء الأكبر منها على العلاقات الحضارية التي تربطها مع غيرها.

قائمة المصادر والمراجع أولاً: المصادر العربية:

1. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيت الأفكار الدولية، ج9. 1987م
 2. ابن جبير، رحلة ابن جبير، بيروت، لبنان، دار صادر. 2012م
 3. ابن الجوزي، شمس الدين، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: أنور طالب وآخرون، ج12، ط1، دمشق، سوريا، الرسالة العالمية. 2013م
 4. ابن الجوزي، عبد الرحمن، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ج16. 1992م
 5. الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، ج1، لبنان، بيت الأفكار الدولية. 2004م
 6. أبي شامة، شهاب الدين، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية. 2002م
 7. ابن كثير، عماد الدين، طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، ج1، ط1، بنغازي، ليبيا، دار المدار الإسلامي. 2004م
 8. ابن كثير، عماد الدين، البداية والنهاية، تحقيق: حنان عبد المنان، لبنان، بيت الأفكار الدولية. 2004م
- ثانياً: المراجع العربية:
9. أمين، حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، بغداد، العراق، مطبعة الإرشاد. 1965م
 10. أيوب، محمد، آخر أيام العباسيين: الخلافة العباسية منذ سيطرة السلاجقة حتى سقوط بغداد، ط1، القاهرة، مصر، مؤسسة أقرأ. 2013م
 11. التونجي، محمد، حول الأدب في العصر السلجوقي، ط1، بنغازي، ليبيا، مكتبة قورينا. 1974م
 12. الجمل، فهد، الخلافة العباسية في عصر الدويلات (السامانية، والبويهية، والخورزمية) (الزهد، والتصوف، والشعبية أنوذجاً)، ط1، غزة، فلسطين، الإدارة العامة للمعارض والفنون والتراث. 2022م
 13. حجازي، فهم، العماثر الدينية السلجوقية والمصرية حتى نهاية العصر المملوكي (دراسة مقارنة لأساليب التخطيط)، ط1، القاهرة، مصر، المكتب العربي للمعارف. 2014م
 14. حسن، حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج4، ط14، القاهرة، مصر، مكتبة النهضة المصرية. 1996م

15. حسنين، عبد النعيم، دولة السلاجقة، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية. 1975م
16. حلمي، أحمد، السلاجقة في التاريخ والحضارة، ط1، الكويت، دار البحوث العلمية. 1975م
17. الزهراني، محمد، نظام الوزارة في الدولة العباسية (العهدان البويهى والسلجوقي)، ط1، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة. 1980م
18. الزيد، عبد الله، مختصر تفسير البغوي، ط1، الرياض، السعودية، دار السلام. 1995م
19. سعد، عبد العزيز، العلوم الحضارية في المشرق الإسلامي: إسهامات في الحضارة الإسلامية خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ط1، بيروت، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون. 2015م
20. شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي: الدولة العباسية، ج2، ط6، عمان، الأردن، المكتب الإسلامي. 2000م
21. الصلابي، علي، دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، ط1، القاهرة، مصر، مؤسسة اقرأ. 2006م
22. عاشور، سعيد وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، القاهرة، مصر، دار المعرفة الجامعية. 1996م
23. العبد، محمد، أيعيد التاريخ نفسه؟ (دراسة لأحوال العالم الإسلامي قبل صلاح الدين مقارنة مع تاريخنا المعاصر)، ط3، المنتدى الإسلامي. 1999م
24. فوزي، فاروق، الخلافة العباسية: السقوط والانهايار، ج2، عمان، الأردن، دار الشروق. 2009م
25. المغلوث، سامي، أطلس تاريخ الدولة العباسية، ط1، الرياض، السعودية، مكتبة العبيكان. 2012م
- أبو النصر، محمد، السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. 2001م
- ثالثاً: الرسائل الجامعية:**
26. البابا، مؤمن، البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية (1-656هـ/622-1258م)، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2009م.
27. عبد العزيز، هاتم، التأثيرات السلجوقية على العمارة الإسلامية. بمدينة القاهرة في العصرين الأيوبي والملوكي البحري، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة طنطا. 2012م.
28. أبو عزة، عبد الله، الحضارة العربية في المشرق في عهد السلاجقة (447هـ - 567هـ/ 1055م - 1171م) بالاستناد الى سير الرجال في ذلك العهد بصفة خاصة، (رسالة غير منشورة)، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان. 1969م
29. عسيري، مريزن، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة أم القرى، السعودية. 1985م

30. قنفي، عبد الرزاق، مدارس التعليم بالمشرق في عهد السلاجقة والزنكيين 459-594هـ/1066-1197م — دراسة حضارية -، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الجزائر. 2016م
31. محمد، عثمان، السلاجقة ودورهم في الخلافة في الفترة (429هـ - 552هـ) (1037م - 1157م)، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النيلين. 2017م
32. مقلية، نادية، دور العلماء في الحياة العامة في العراق خلال العصر السلجوقي (447-590هـ/1055-1193م)، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة أم القرى، السعودية. 2014م
- رابعاً: المراجع العربية المترجمة:**
33. الراوندي، محمد، راحة الصدور آية السرور، ترجمة: إبراهيم الشواربي وآخرون، ط1، القاهرة، مصر، المجلس الأعلى للثقافة. 2005م
34. رايس، تامارا، السلاجقة تاريخهم وحضارتهم، ترجمة: لطفي الخوري وآخرون، بغداد، العراق، مطبعة الإرشاد. 1968
35. الطوسي، نظام الملك، سير الملوك أو (سياست نامه)، ترجمة: يوسف بكار، بيروت، لبنان، دار المناهل. 2007م
- خامساً: الدوريات العربية:**
36. تازي، عائشة، الجهود العلمية للوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي في مقاومة الوجود الشيعي بالمشرق الإسلامي خلال القرن (5هـ/11م)، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع19. 2018م
37. خالد، كربي، الحركة العلمية في بغداد خلال العهد السلجوقي وعوامل ازدهارها، مجلة المداد، م5، ع2. 2017م
38. أبو الرب، هاني، الوزير نظام الملك ودوره في الحياة العامة في الدولة السلجوقية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) م21، ع3. 2007م
39. شريف، حسين، أسباب دخول السلاجقة إلى العراق (447-590هـ) (1055-1193م)، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع34. 2022م
40. الفعايدة، عبد الهادي، الإدارة السلجوقية في بغداد الشحنة أنموذجاً خلال الفترة (447-536/1055-1142م)، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع42. 2015م
41. كاتي، غيداء، الخلافة والسلطنة بين الرواية التاريخية والآراء الفقهية، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، م12، ع3. 2018م
42. الوهاب، بوعبدلي، النظاميات وأبرز اساتذتها في العهد السلجوقي، المنتقى للبحوث والدراسات، م2، ع4. 2021م